هل كان المسيح نجّارًا ؟ *

بقلم سرجيوس جبيليوف
عضو الاكاديمية الطبية

لما رجع المسيح الى الناصرة مسقط رأسه بعد ان اتم خدمته في الجليل ، واخذ يعلّم في المجمع ، كثيرون من اليهود الذين كانوا حاضرين تساءلوا مبهوتين : من اين له هذه الحكمة ، وكيف يستطيع ان يأتي بهذه المعجزات ؟ «اليس هذا هو النجار — τέκτων — ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ او ليست اخواته ههنا عندنا ؟ وكانوا يشكون فيه» (مرقص ٦ : ٣) ولكن في رواية متّى ، المقابلة للرواية المذكورة ، لم يذكر ان المسيح كان نجّارًا . وانما قيل هناك ان اباه يوسف كان نجارًا[1] — τέκτων — «اليس هذا هو ابن النجار اليست امّه تسمى مريم ، واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أو ليست اخواته كلهنّ عندنا ؟ فمن اين له هذا كله ؟ وكانوا يشكون فيه» (١٣ : ٥٤—٥٧) .

اما في انجيل لوقا (٤ : ٢٢) فان اليهود اقتصروا على السؤال : «اليس هذا هو ابن يوسف» ؟ ولم يذكر هناك ان المسيح او اباه كانا يحترفان حرفة النجارة[2] .

واما في انجيل يوحنا (١ : ٤٥) فان الشك في ان يسوع هو المسيح الموعود

---

*) عرّبها عن الروسية ب . ج .

١) يقرأ في بعض المخطوطات السطر الاول من آية مرقص هكذا : «اليس هذا ابن النجار والنجار» الا ان هذه الرواية التي صححها (Westcotte-Hort) الى بعدها واطلق عليها اسم «الغربية» (Western) قد أُهملت حين حقّقوا خاليًا من الاجيل الثاني .

٢) مصدر لوقا هو ، ولا شك عبارة المسيح المذكورة بعد ذلك : «انه ليس نبيٌّ مقبولًا في وطنه» (٤ : ٢٤) . يرى بعض المفسرين في سؤال اليهود «اليس هو ابن يوسف» اشارة ازدراء الى طبقة يسوع الاجتماعية المنحطة . وهم يستندون الى سفر الملوك ١٠ : ١١ «ماذا جرى لابن قيس أشاؤول ايضًا من الانبياء» و٢٠ : ٣٠ «ألم أعلم انا (شاول) أنك انت (يوناثان) قد تصطفّيت لابن يسّى لخزيك وخزي سوءة أمّك» ولكن ما هذا التفسير ؟ وما ادراهم ان سؤال اليهود ينطوي ، ولا شك ، على شيء من الازدراء ؟

به يُعزى الى نثنائيل من بيت صيدا ، فان اخاه فيليب يقول له : « ان الذي كتب عنه موسى في الناموس والانبيا، قد وجدناه ، وهو يسوع بن يوسف من الناصرة. » فالنقطة الهامة في نظر يوحنا هي ان يسوع نشأ في الناصرة ، ولهذا اجاب نثنائيل فيليب : « أيكون من الناصرة شيء صالح ؟ »

اذا كان لا بد من تعليل سكوت الانجيل الرابع عن حالة (طبقة) يسوع الاجتماعية . ففي صفات هذا الانجيل الخاصة به والمميزة له عن غيره ما يكفي لذلك . ولكن كيف نعلل سكوت الانجيل الثالث — المعروف بميله الى الشروحات والاخبار الطويلة — عن حرفة يسوع وابيه التي كانا يحترفانها ؟ سنجيب على هذا السؤال بعيد ذلك . اما الآن فدعنا نشتغل بعمل لغوي محل ، ولكن ضروري لنرى في اي معنى يستعمل مرقص ، ومتى ، كلمة τέκτων وهل من الضروري ان نترجمها بكلمة « نجّار » كما ترجمتها ، ولا تزال تترجمها ، اللغات الاوربية الحية ؟[1].

ان τέκτων كلمة يونانية[2] قديمة ومعناها الاصلي يقابل معنى كلمة « صانع » مع قطع النظر عن المواد التي يشتغل بها . ولكن ليس كل صانع τέκτων وانما الصانع الماهر (أوسطه) فقط . هكذا فهم هذه الكلمة اصحاب المعاجم (طالع Hesych. : τέκτων = πᾶς τεχνίτης τέκτων — كل صانع) و Suid : τεχνίτης = الصانع على التعميم) وهي تستعمل للدلالة على النجّار ، وصانع المراكب ، والبنّاء ، والحفّار ، والحدّاد الخ . وقد تطلق مجازًا على الشعراء (τέκτονες ἐπῶν, τέκτονες σοφοὶ ἐπέων) بل ان نفس اسكلابي يسمّى في شعر بندار τέκτων ἀοιδᾶν ἐμᾶν وفي بيت من ابيات الاوديسة لهوميروس استعملت τέκτων δούρων (384) الى جانب μάντις (عرّاف) ἰητὴρ (طبيب) θέσπις ἀοιδός (شاعر او منشد مُلهَم ، موحى اليه) وكل هذه العبارات تدخل في صف الاصطلاحات المعروفة باسم δημιουργοί (خلّاق .

١) تؤدّي الترجمة اللاتينية كلمة τέκτων ب faber اما الروسية فاحيانا لم تترجم هنا .

٢) Prellwitz (طالع المعجم اليوناني طبع Goettingen ١٩٠٥ ص ٢٥٤) يشتق كلمة τέκτων من tekso (احدث . انشأ . صنع . تفنن في عمله . ولد . نجر . تعاطى حرفة النجار)

مبتدع . منشىء.) أفإذا كانت τέκτων تُطلق على كل نوع من انواع الصناع ، فهل من الصواب ان نترجمها في جميع الآيات الانجيلية بكلمة نجّار ؟

لم ترد كلمة τέκτων في كتب العهد الجديد الا مرتين . وذلك في المواضع التي ذكرناها فوق هذا. اما في اسفار العهد القديم فانها وردت مرات عديدة إما مستقلّة او باضافة كلمة اخرى اليها.وها نحن نذكر هذه المواضع الاخيرة :

١ً ــ سفر الملوك الاول ١٣ : ١٩ « ولم يكن يوجد في كل اسرائيل صانع حدادة اي حداد τέκτων σιδήρου »

٢ً ــ سفر الملوك الثاني ٥ : ١١ « ووجه حيرام ملك صور رسلًا الى داود واخشاب ارز وصناع حدادة وصناع نحاتة » (نجارين وحدادين τέκτονας καὶ τ. λίθων)

٣ً ــ سفر الملوك الثالث ٧ : ١٢(١٤) . . . « وابوه من صور صانع نحاس » τέκτων χαλκοῦ ...

٤ً ــ سفر الملوك الرابع ١٢ : ١١ (١٢) « فيؤدّونها الى صناع النجارة » τοῖς τέκτοσιν τῶν ξύλων

٥ً ــ سفر اخبار الايام الاول ١٤ : ١ « ووجه حيرام ملك صور رسلًا الى داود . . . وبنّائين وصناع خشب » (اي نجّارين τέκτονας ξύλων)

٦ً ــ سفر اخبار الايام الاول ٢٢ : ١٥ « وعندك صناع كثيرون للعمل نحاتون ونقاشو حجارة وخشب »[1] τέκτονες ξύλων

والآن نتنقل الى المواضع التي استعملت فيها كلمة τέκτων بدون مضاف.

١ً ــ سفر الملوك الرابع ٢٢ : ٦ رئيس الكهنة حلقيا يسلّم بامر الملك يوشيا الفضة المهداة الى بيت الرب الى متولي العمل في بيت الربّ « الى النجارين ــ τέκτοσιν ــ والبنائين ورافعي الجدران » هكذا جاء في الترجمة الروسية (والعربية م.) على اننا نشكّ في صحة هذه الترجمة . وذلك اولًا لان كلمة οἰκοδόμοι

١) قابل سفر الخروج ٣١ : ٥ « ولنجارة الخشب ــ τὰ ἔργα τεκτονικὰ τῶν ξύλων ــ وجازًا في سفر الامثال ١٧ : ٢٢ « لا يعرفون رحمة وصدقًا فاعلو الشر ــ τέκτονες κακῶν ــ والرحمة والصدق عند الفطنة العاملين » ἐργάταις τέκτοσιν (وفي ترجمة الآباء اليسوعيين : « الذين يبتغون الشرّ هم في الضلال والرحمة والصدق للذين يبتغون الخير ») م)

(البنّاؤون) تعني هنا ، على ما ارى ، المشيّدين على الاطلاق . فاذ صحّ هذا الظنّ نتج عنه ان لا ضرورة الى ترجمة τέκτονες بكلمة « نجّارين » بل الافضل ان تترجم بكلمة صناع ماهرين (اوسطا) او « بنّاءة » بدون تخصيص . والظاهر ان الترجمة الثامنة قد تأثرت بالشطر الثاني من الآية نفسها : « . . . لشراء خشب وحجارة منحوتة لمرمّة البيت » ولو قرأنا الاية كلها بامعان لاتّضح لنا بأن حلقيا سلّم الدراهم اولًا الى صانعي العمل اي الى الصنّاع (القَمَلَة) والمشيّدين (مراقبي العمل او القيّمين) في بيت الرب ورافعي الجدران . وثانياً لشراء خشب وحجارة .

٢ً — سفر الملوك الرابع ٢٤ : ١٤ « وجلا (نبوكدنصر) اورشليم وجميع الرؤساء والمقتدرين . . . وجميع الصناع والمحصّن » ومثلها في سفر الملوك الرابع (٢٤ : ١٦) حيث ترجمت τέκτονες الى الروسية بكلمة Khoudógenik (متفنّن . رسّام . artiste) (وفي العربية بكلمة أقيان) وكلها غير صحيح .

٣ً — سفر اخبار الايام الاول ٤ : ١٤ « وسرايا وَلَدَ يواب ابا وادي الصنّاع لانهم كانوا صنّاعاً » — τέκτονες — اذا اردنا ان نوضح معنى τέκτονες في هذه الآية وجب ان نرجع الى الاصل العبراني חרשים (faber)

٤ً — سفر اخبار الايام الثاني ٢٤ : ١٢ « استأجر القائمون بالعمل نحّاتين ونجّارين — τέκτονες — ليرمّموا بيت الرب وصنّاع الحديد والنحاس لتعزيز بيت الرب » . اذا اعتمدنا فقط على متن الآية جاز ان نترجم كلمة τέκτονες هنا بكلمة نجّارين . الّا ان هذا ليس بضروري ، لانه لا يجوز ان ندلّ هنا على الصنّاع ايضا بدون تحديد الحرفة . وبالاخص اذا انبعنا في تحديد الآية رواية *Codex Alexandrinus* حيث سقطت العبارة « وصناع الحديد والنحاس لتعزيز بيت الرب » .

٥ً — سفر اخبار الايام الثاني ٣٤ : ١١ « اعطوا النجارين والبنائين ليشتروا حجارة منحوتة وخشباً للوصل ولتصفيح البيوت » . ما المراد هنا من كلمة τέκτονες هل « النجّارين » على وجه التخصيص ام الصنّاع على الاطلاق ؟ [1]

١) في الاصل العبراني نفد الاصطلاح ذاته : חרשים (faber) اي صانع ماهر (اوسط) او صانع على الاطلاق .

٦ ــ سفر عزرا الاول ٥ : ٥٣ (٥٤) . الكلام في هذه الآية عن الاشغال التمهيدية لاعادة بناء الهيكل حين « اعطوا فضة للنحّاتين والنجّارين ــ τέκτοσι ــ وطعاماً وشراباً وزيتاً للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب الأرز من لبنان الى مينا يافا » وهنا ايضاً لا اخاطر في تحديد معنى τέκτονες على اني ارجح استناداً الى سياق الكلام ان المراد هنا من هذه الكلمة « النجارون » (قابلها على سفر عزرا الثاني ٣ : ٧).

٧ ــ هوشع ٨ : ٦ « وهذا (الصنم) قد صنعه صانع ــ τέκτων ــ فليس هو باله » (عارضها على ١٣ : ٢) ف τέκτων هنا تعني ولا شك الحفّار او الصانع المتفنّن (artiste).

٨ ــ زخريا ١ : ٢٠ « واراني الرب اربعة صنّاع τέκτονας » الارجح ان الكلمة استعملت هنا مجازاً . وعلى كل حال هي لا تفيد معنى النجّارين.

٩ ــ اشعيا ٤٠ : ١٩—٢٠ « ان التمثال يسبكه الصانع ويذهّب عليه الصائغ صفائح من الذهب » ــ μὴ τεκὼν ἐποίησεν τέκτων...βῶλον γὰρ ξυστὸν τέκτων ἐκλέξεται τέκτων ويختار الصانع عوداً لا ينخر » هنا ، ولا ريب في ذلك ، تدلّ τέκτων على الصانع الحاذق (artiste).

١٠ ــ اشعيا ٤١ : ٥—٧ « . . . فشدّد النجّار τέκτων ξύλα – الصائغ والصاقل بالمطرقة من يضرب على السندان » اقرب الى الصحّة ان نفهم هنا كلمة τέκτων بمعنى الصانع على الاطلاق.

١١ ــ اشعيا ٤٤ : ١٢—١٣ « الحدّاد ــ τέκτων ــ يصنع قدوماً . . . والنجّار ــ τέκτων ــ يمدّ الخيط ويُعلم الخشب بالمغرة ويسوّيه بالنحت ويرسمه بالبركار ويصنعه على شكل انسان وجمال بشر ليبقى في المنزل » ففي الشطر الاول τέκτων تعني حقيقة الحداد . اما في الشطر الثاني فيجوز ان تدلّ على النجار او الصانع الماهر على الاطلاق حتى على الصانع المتفنّن (artiste)

١٢ ــ ارميا ١٠ : ٣ « لان سنن الامم باطلة فان واحداً يقطع شجرة من الغابة فتنحتها يدا النجار بالقدوم » هنا تدل τέκτων ، ولا شكّ ، على النجّار.

١٣ ــ رسالة ارميا ٧ : « ولسانهم منجور (منحوت) (بيد) τέκτονος »

= الصانع الحاذق المتفنّن . وله ايضاً ٥ : ٤٥ وهي (اصنام الكلدانيين) مصنوعة (بايدي) τεχνιτῶν ، τεκτόνων » فالمراد بالاولى على الارجح (النقاشون) النجّاتون الذين ينحتون الحجارة وبالثانية النكّابون[1] .

نستدل من معارضة آيات العهد القديم بعضها على بعض :

١ً انه اذا كانوا يعنون ب τέκτων النجار ، كانوا يضيفون اليها كلمة ξύλων (الخشب) .

٢ً واما اذا كانوا يستعملونها بدون مضاف في الترجمة السبعينية فانهم كانوا يعنون بها على الاغلب الصانع في اوسع معنى هذه الكلمة في اللغة اليونانية . ولهذا لا يجوز لنا ان نترجمها دائمًا في جميع الآيات الانجيلية المذكورة آنفاً بكلمة نجّار .

ومع ذلك فان التقاليد القديمة كانت وما زالت تصوّر المسيح نفسه (وعلى كل حال اباه يوسف) نجارًا . اما كيف نشأت هذه التقاليد فسنتكلم عن ذلك بعيد هذا . والآن نقتصر على الملاحظة بان اول شهادة كتابية ذُكر فيها على ما نعلم ان المسيح كان نجارًا ترجع الى اواسط القرن الثاني[2] .

قال يوستين الشهيد في «محادثته مع تريفون اليهودي»[3] ان روح القدس هبط على المسيح «حين جاء الى الاردن . ذاك الذي كان يُعدّ ابن يوسف النجّار اظهر نفسه كما اخبرت عنه الكتب[4] ، لا صورة له ولا بهاء ، وكان يُظن انه نجّار لانه كان يشتغل حين كان بين الناس بالنجارة ، ويعمل المحاريث والانيار مظهرًا بذلك مثال العدل والحياة الفعالة . »

---

١) حكمة سليمان ١٣ : ١١–١٥ τέκτονος τέκτων تدل على الصانع المتفنن في عمل الخشب . اما في آية حكمة يسوع ٣٨ : ٢٧ (٢٨) ف τῆς τέκτων تعني النقاش . لا النجّار .

٢) ان اقدم مصدر لمعلوماتنا عن المسيح لا يذكر شيئًا البتة عن حالته الاجتماعية وهذا المصدر هو رسائل الرسول بولس ، مع ان بولس نفسه كان بحسب رواية التقليد صانعًا (σκηνοποιός صانع خيم) (اعمال الرسل ١٨ : ٣) .

٣) انظر Migne, P. G. VI, 685

٤) اية كتب يعني هنا يوستين ؟ لا تلتئ كتب العهد القديم . قابل مثلاً اشعيا ٥٣ : ٢ وعارضها بالرسالة الى الفيليبيين ٢ : ٧

يؤخذ من هذه الاسطر ان يوستين عنى ، ولا شك ، بكلمة τέκτων النجار . وبناء على انه اطلق هذه الكلمة على يوسف ، وعلى المسيح ، كان يجوز ان نستنتج من ذلك انه كان في يده متن الانجيلين الاول والثاني. على انه اذا امعنا النظر في عبارة يوستين تبين لنا انه لم يستند ، حين سمى يوسف ويسوع نجّارين ، الى متن الاناجيل بل الى التقليد الشائع وقتئذٍ. لانه حقيقة لم يستعمل العبارة « كما قالت الكتب » الا حين ذكر ان المسيح ظهر بلا صورة ولا جمال. ولكنه لما ذكر ان المسيح كان يعد ابن يوسف النجار وانه هو نفسه كان نجارًا استعمل فعل νομίζεσθαι (يقال ، يظن) كانه اراد بذلك ان يقول ان هذا كان التقليد الشائع او الاعتقاد السائد وقتئذٍ.

ولعل بعض الناس يتهمنا بالافراط في التدقيق والتحذلق في تفسير الآية. الا انه لا يمكن فهم هذه العبارة من الوجه اللغوي على خلاف ما فهمناها . على كل حال، يهمنا ان نحقق أنه، في اواسط القرن الثاني، نشأ تقليد عن احتراف يسوع وابيه يوسف حرفة النجارة . اما اذا كان هذا التقليد شائعاً على الالسنة فقط او مُثبتاً في كتاب ما فهذا ما لا يزال تحت البحث[1]. ولكن الارجح هو الافتراض الاول. لانه قد وصلت الينا من اواسط القرن الثالث شهادة عامة جداً لاوريجينيس ، اعظم كاتب مسيحي في العصور الاولى للمسيح. صرّح الكاتب المذكور في تأليفه « ضد كلس » — الذي وضعه بين سنة ٢٤٦ وسنة ٢٤٨ ليردّ فيه اعتراضات كلس على الديانة المسيحية — ان المسيح نفسه لا يدعى τέκτων بمعنى النجار — كما يُفهم من سياق كلامه — ولا في آية من آيات الاناجيل المستعملة في الكنائس[2].

معلوم ان اوريجينيس كان اعلم رجال عصره باحوال شتى الكنائس ، وان

---

١) آسف انه لم يكن في يدي ، بيروت ، وقت هذه المقالة ، تأليف G. Archambaut, Justin, *Dialogue avec Tryphon*. Texte grec, traduction franc. introduction, notes et index, 2 v. Paris, 1909) حيث لعلي كنت اجد بحثاً عن هذه المسألة

٢) Origen c. Cels. VI. 36 (II. p. 105 Koetschau)... ἐκ τῶν διδαχῶν τῶν ἐν ταῖς ἐκκλησίαις φερομένων εὐαγγελίων τέκτων αὐτὸν ὁ Ἰησοῦς ἀναγεγράπται.

علمه كان يستند الى معرفته الشخصية لها. ونحن نعلم من سيرة حياته انه اقام ، في ما عدا الاسكندرية مركز اعماله، في رومية ، وفلسطين ، وبلاد اليونان ، واسية الصغرى ، وسورية ، حتى وفي بلاد العرب [1] . وانه كان كاتباً ثقة وصادق النية . لا ننكر ان التأليف الذي اوردنا منه الشهادة المذكورة هو تأليف جدلي . الا انه ليس لدينا دليل يحملنا على الشك في ان في تصريحه القاطع شيئاً من المبالغة . ولهذا نرانا مضطرين ان نصدقه بانه لم تكن حقيقة في تلك الاناجيل التي كانت الكنيسة المسيحية في عصره تعدها صحيحة (قانونية) وتستعملها اشارة ما الى ان المسيح كان τέκτων تجّارًا.

اذا صحّ ذلك جاز ان نعرض السؤال الآتي : هل الآية ٣:٦ من انجيل مرقص كانت تقرأ في ايام اوريجينيس كما تقرأ اليوم ؟ [2] والجواب على ذلك انه اذا كانت مجموعة كتب العهد الجديد (القانون) لم تتخذ صورة نهائية في النصف الشرقي من الامبراطورية (الرومانية) الا في العصرين الرابع والخامس فالارجح ان اناجيلنا القانونية، وبالاخص المعروفة بال συνοπτικοί = المتوافقة منها، لم تتخذ صورتها الحاضرة دفعة واحدة . على ان هذه المسألة هامّة ومعقدة. وفوق ذلك ، انا اشعر باني لست مستعدًّا لخلّها او الخوض فيها.

ومع ذلك فلا ريب في ان التقليد القائل بان يسوع كان في حياته الشخصية تجّارًا كابيه كان شائعاً في الدوائر المسيحية منذ القديم، كما يستفاد من شهادات يوستين الشاهد واوريجينيس التي يرتقي عهدها الى العصر الثاني [3] . ثم لدينا

---

١) لعله اراد المقاطعة المعروفة باسم Arabia والواقعة في جنوب سورية وشمال فلسطين (حوران) (م).

٢) اما فيما يتعلق بمتى (١٣ : ٥٥–٥٧) حيث تذكر حرفة يوسف فان Usener قد برهن في المقالة المذكورة سابقاً على ان حديثه عن ولادة وطفولية المسيح – وبهذا الحديث يرتبط كل ما له علاقة بشخصية المسيح – حكاية نشأت بعد ان اتخذ تعليم وتاريخ آلام المسيح صورة ثابتة مكتوبة بزمن طويل (طالع تأليفي : الاناجيل الصحيحة والموضوعة ص ١١٠ ، بطرسبرج ١٩١٩)

٣) معلوم ان تأليف كلس الذي يدحضه اوريجينيس ظهر حوالي سنة ٢٠ من القرن الثاني.

— وبالاخص في ما يتعلق بابي يسوع — شهادات اخرى صريحة ، وهي شهادات الاناجيل الموضوعة ، وبالاخص تلك الطائفة منها التي تشتمل على « طفولية المسيح »[1] وهـذا امر معروف فلا حاجة الى الخوض فيه[2] . ولكن هناك مسألة اخرى لا اظنها تخلو من الفائدة واللذة ، وهي تدور حول محاولة حلّ سؤال آخر وهو : من أين وكيف تسرّبت الى اناجيلنا الاشارة الى ان يسوع كان Ναζωραῖος ، بغض النظر الآن عن معنى هذه الكلمة ؟

من الحقائق المسلّم بها اليوم ، لانها بنيت على اساس علمي متين ، انّ اناجيلنا (ولا سيما المتوافقة = συνοπτικοί منها) تحتوي على معارضة بين « اقوال » المسيح و« افعاله ».

ان الرسل الاولين ، وسائر دعاة المسيحية ، كانوا يبلغون مَن كان يستمع اليهم الاحاديث عن « اقوال » و« افعال » المسيح . ولا شك في انـه كانت ، على ما ارجح ، « الاقوال » التي كانوا يعزونها الى المسيح داعياً واحياناً لحمة لتطبيق « افعاله » على « اقواله ». ولنا في المسألة الجزئية التي وقفنا عليها هذه العجالة دليل قاطع على صحة هذه الفكرة . واليك بيان ذلك :

لما اتوا بالمسيح الى رئيس الكهنة ليصدر حكمه عليه ، اخذوا يفتشون عن شهود كان يجب ان تؤدّي شهاداتهم الى الحكم عليه بالموت : « فوقف قوم يشهدون بالزور ويقولون اننا سمعناه يقول اني انقض هذا الهيكل المصنوع بالايدي وفي ثلاثة ايام ابني آخر غير مصنوع بالايدي » (مرقس ١٤ : ٥٧—٥٨ وقـابله على ١٥ : ٢٩ ») : وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يَهزُّون رؤوسهم ويقولون : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام » وجاء في انجيل متى (٢٦ : ٦٠—٦١) : « اخيرًا تقدم شاهدا زور وقالا ان هذا قد قال : اني اقدر ان

---

١) طالع مثلاً *Evang. Thomæ* و *Pr. Matt.* 10, 27 و *Protoev. Jacobi.* I 13, 1 و Ist. 11. و « تاريخ يوسف النجار » في اللغة العربية الخ .

٢) ان التفنيد القائل بان يسوع كان كابنه يوسف نجارًا ردّدته ولا تزال تردّده سير المسيح الحديثة كثير لا ريب فيه . طالع مثلاً تأليف A. Réville, *Jésus de Nazareth*, Paris, 1897. I, 418

انقض هيكل الله وابنيه في ثلاثة ايام » (قابله على ٢٧ : ٣٩-٤٠) : « وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام ».

لا ريب في ان شهود الزور ، والشعب الذي كان يجدف على المسيح ، قد استعملوا كلمة « بنى » في معناها الحقيقي ، لا المجازي . وكذلك صاحبا الانجيلين الاول والثاني . اما انجيل لوقا فانه ، في حديثه عن محاكمة المسيح في المجمع ، لم يذكر شهود الزور الذين ذكرهم صاحبا الانجيلين الاولين ولا عزا الى المسيح تهمة تجديفه بنقض الهيكل واعادة بنائه . واذا اقتصر على القول بان شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة افتتحوا استنطاقه بالعبارة : « ان كنت انت المسيح فقل لنا » فاجابهم يسوع « ان قلت لكم لا تؤمنون وان سألتكم لا تجيبوني (ولا تطلقوني) ولكن من الآن يكون ابن البشر جالساً عن يمين قدرة الله » (٢٢ : ٦٧-٦٨).

وكذلك الانجيل الرابع فانه لم يذكر ، حين وصف صورة محاكمة يسوع عند رئيس الكهنة ، لا شهداء الزور ، ولا التهمة التي افتروها على المسيح بخصوص الهيكل (١٨ : ١٩-٢٤) . نعم ان عبارة المسيح : « انقضوا هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام » قد وردت في الانجيل الرابع ، ولكن في موقف آخر . وذلك انه لما دخل يسوع ، قبل الفصح ، هيكل اورشليم ، وطرد منه الباعة والصرّافين ، سأله اليهود أيّة آية ترينا حتى تفعل هذا . فاجابهم يسوع : « انقضوا هذا الهيكل وانا اقيمه في ثلاثة ايام » (٢ : ١٩) . وهنا لا بد من التنبيه على ان صاحب الانجيل الرابع قد استعمل في الآية المذكورة فعل ἐγείρω (اقام) لا فعل οἰκοδομέω (بنى) فنتج عن ذلك ان العبارة باجمعها اصبحت مجازية . والى ذلك اشار صاحب الانجيل نفسه بقوله : « اما هو فكان يعني هيكل جسده » (٢ : ٢١) اي قيامته من بين الاموات.[1] الا ان اليهود قد فهموا عبارة المسيح

١) استعمل فعل ἐγείρω في الانجيل الرابع بمعنى « نهض ، قام » (٥ : ٨ ، ١١ : ٢٩ ، ١٤ : ٣١) « أقام او بعث الموتى » (٥ : ٢١ ، ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢١-٢٤) وبمعنى « ظهر ، نشأ » (٧ : ٥٢).

حرفيًا كما يستدل على ذلك من قولهم : « انه في ست واربعين سنة بُني هذا الهيكل افتقيمه انت في ثلاثة ايام » (٢ : ٢٠) ؟

إذن تشهد الاناجيل الاول والثاني والثالث ان اليهود نسبوا الى المسيح « قوله »: « انقضوا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايام »[1]. وان صاحب الانجيل الرابع — وهذا ما كان يُنتظر منه — فهم هذه العبارة مجازيًا واوّلها بالنظر الى مستقبل المسيح ، اي الى قيامته. اما صاحبا الانجيلين الاول والثاني فانهما فهما « كلمة » المسيح — وهذا ايضًا كان يُنتظر منهما — حرفيًا واستنتجا من ذلك الاستنتاج المناسب لماضي المسيح اي المتعلق بحياته الشخصية فكأنهما قالا : « اذا كان المسيح يقدر ان يبني الهيكل اذن هو τέκτων ». هكذا يرتئي مرقص. اما متى فانه اقتصر على القول بان يوسف ابا المسيح كان نجارًا ؛ ولكنه لم يقل ان المسيح ايضًا كان τέκτων. ولعلنا نستطيع ان ندرك هذا السكوت التقي اذا انتبهنا الى الغرض المعيَّن الذي أوحى الى صاحب الانجيل الاول وضع كتابه الا وهو رغبته في ان يبرهن على ان يسوع هو المسيح الموعود به (الحقق ان الانجيل الثاني خالٍ من هذا الميل) ولكن اغرب من كل ذلك بشارة الانجيل الثالث التي لم تذكر — كما بينا آنفًا — « كلام » المسيح عن نقض الهيكل واعادة بنائه . ولهذا نفسه لم تذكر ايضا ان يسوع ، او على الاقل اباه يوسف ، كانا τέκτονες.

هكذا انا اعبّر عن نشوء الحكاية القائلة بان المسيح كان نجارًا : عن « القول » الذي يُعزى الى يسوع ، نشأ « العمل » الذي له علاقة بحياته

---

١) وردت عبارة المسيح نفسها في الاناجيل متى ومرقص ويوحنا في صور مختلفة . فمن الحق ان نبحث عن صورتها الاصلية . ولهذا لا اظن ان المفسرين (طالع ، Holtzmann Handcommentar على آية مرقص ١٤ : ٥٨) مصيبون في آرائهم حين يزعمون ان الصورة الاصلية هي التي حُفظت في انجيل متى (٢٦ : ٦١) بل احرى ان تكون هي التي حفظها مرقص (١٤ : ٥٨) ولا سيما اذا اسقطنا كلمتي χειροποίητον (المصنوع بالايدي) و ἀχειροποίητον (واخر غير مصنوع بالايدي) اللتين حلهما اقحمتا هنا تحت تأثير الانجيل الرابع (٢ : ٢١ ، ٢٢)

وفاعليته .

وفي الختام اسمح لنفسي ان اعود الى ما كنت ابتدأت به، اي الى فهم كلمة τέκτων في الايات الانجيلية :

وعد المسيح ان يبني الهيكل في ثلاثة ايام. ولكن لكي يبنيه لا تكفي معرفة حرفة النجارة لان بناء الهيكل عمل شاق جداً يحتاج الى معلومات صناعية وخبرة عملية . فمن الغرابة اذن ان نفرض ان اليهود الذين اغاظهم تهدُّد المسيح فكروا ثم قالوا : « هو مستعدّ ان يبني الهيكل في ثلاثة ايام. لله درّه من نجّار » ! ولا اظنهم حين سمعوا عبارة المسيح فكروا وقالوا : « انظروا ما هذا المهندس العجيب !» لان اليهود كانوا يعلمون ان المهندس يصنع فقط التصميم ، ويراقب الاشغال. ولكنه لا يبني شيئاً بيديه . على اني ، وان كنت احسب من قبيل اضاعة الوقت في غير طائل التكهّن عما فكر فيه اليهود ، وقالوه ، حين سمعوا المسيح يقول : « انقضوا هذا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايام » اريد على الرغم مني ان اضع في افواههم وعقولهم هذه العبارة التهكمية : « تعالوا انظروا، يا ناس، ها هو الصانع الماهر » (الاوسط) ! وعلى هذا التفسير ينطبق تماماً الاصطلاح — τέκτων — الوارد في الآيات الانجيلية. ولكن هل كان يسوع حقيقة τέκτων (صانعاً) في حياته الخصوصية وفعاليته ؟ هذا ما لا نعلمه ، وهيهات ان نعلمه يوماً ما .